تزكية النفس أسسها و وسائلها

كفايت الله همداني*

لقد تظافرت نصوص الكتاب والسنة ببيان أهمية تزكية النفوس وما لها من مكانة عالية ومنزلة رفيعة، ولعل من أبرز تلك النصوص وأظهرها قوله تعالى في سورة الشمس: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا(١)

وقد أقسم الله عزوجل في هذه الآيات البينات أحد عشر قسماً على أن صلاح العبد وفلاحه منوط بتزكية نفسه. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في موضع آخر من الكتاب: قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى(٢).

كما أخبر الله جل وعلا بفوز من حقق هذه التزكية بالدرجات العلى، فقال سبحانه: وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى، جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى(٣).

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنَّ مهمة الرسل كانت دعوة الناس إلى تزكية نفوسهم، قال تعالى لموسى في خطابه لفرعون: فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى(٤). وقال سبحانه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (٥).

فالتزكية هي المقصد الثاني من مقاصد بعثة النبي محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم.

* المحاضر الجامعة الوطنية للغات الحديثة اسلام آباد، پاكستان

© rasailojarad.com

تعريف التزكية

التزكية في اللغة مأخوذة من زكا يزكو زكاء ، أي: نما وطهر، فالتزكية هي النماء والطهارة والبركة(٦)، والزكاة: زكاة المال ، وسميت بذلك رجاء البركة أو تزكية النفس أي تطهيرها من الشح ، أولهما جميعاً(٧).

والزكاة من الأسماء المشتركة بين المخرج والفعل ، فتطلق على العين ، وهي المال الذي دفع للزكاة وعلى المعنى وهو التزكية (٨)، ومنه قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ(٩) فالزكاة هنا تحتمل المعنيين معاً: زكاة الأموال، وزكاة النفوس(١٠) .

والتدسية ضد التزكية كما قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا(١١) وأصل التدسية الإخفاء ومنه قوله تعالى : أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ (١٢) فالعاصي يدس نفسه في المعصية ويحقرها (١٣) .

قال الزجاج: دساها جعلها ذليلة حقيرة خسيسة. وقال ابن قتيبة: أي أخفاها بالفجور والمعصية. وأصل الزكاة الزيادة في الخير ، ولن ينمو الخير إلا بترك الشر كما أن الزرع لا ينمو حتى يزال عنه الدغل (١٤).

يقول الإمام ابن تيمية: التزكية جعل الشيء زكياً، إما في ذاته وإما في الاعتقاد والخبر،كما يُقال عدلته: إذا جعلته عدلاً في نفسه أو في اعتقاد الناس قال تعالى: فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ (١٥) أي تخبروا بزكاتها(١٦).

وقد وردت هذه الكلمة في مواضع عديدة من القرآن الكريم(١٧)، فتارة تنسب إلى الله تعالى وتارة تنسب إلى العباد،ويمكنني أن ألخص المعاني التي وردت فيها كلمة(التزكية)في آيات القرآن الكريم في أربع نقاط:

١ – نسبت التزكية إلى الله سبحانه ، بمعنى الهداية والتوفيق في الدنيا، ومنه قوله تعالى: بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء (١٨)

٢ – نسبت التزكية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه المربي والمزكي لأمته والمرشد إلى طريق الخير ، وهذه هي المهمة التي كلفه الله بها وأمره بأدائها. قال سبحانه : كَمَا أَرْسَلْنَا

© rasailojarajd.com

فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (١٩). وقال سبحانه: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا(٢٠)

٣ – ونسبت التزكية إلى العبد لأنه يزكي نفسه بالإيمان والمجاهدة،ومنه قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا(٢١)، ويزكي أمواله بدفع الزكاة التي هي حق الفقير ومنه قوله تعالى: وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ.(٢٢)

٤ – ووردت التزكية في القرآن الكريم في معرض الحديث عن دعوى التزكية بأن يمدح الإنسان نفسه تفاخراً وتظاهراً بالصلاح والتقوى ، وهو شيء مذموم ومنهي عنه، قال تعالى : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء (٢٣) وقال تعالى : فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٢٤) .

وتزكية النفس : هو تطهيرها من نزعات الشر والإثم ، وتنمية فطرة الخير فيها مما يؤدي إلى استقامتها وبلوغها درجة الإحسان .

ويؤكد هذا المعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر التزكية ببلوغ مرتبه بالإحسان فقال صلى الله عليه وسلم: (قال ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان من عَبَدَ الله عز و جل وحده بأنه لا إله إلا هو وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم فإن الله عزوجل لم يسألكم خيرها ولم يأمركم بشرها وزكى نفسه فقال رجل وما تزكية النفس فقال أن يعلم أن الله عز و جل معه حيث كان) (٢٥).

تعريف النفس :

النفس لغة (٢٦) تطلق على عدة معان ، أبرزها المعاني الثلاثة التالية :

١. النفس : بمعنى الروح ، يقال: خرجت نفس فلان أي روحه.
٢. النفس : بمعنى ذات الشيء وحقيقته ، تقول : قتل فلان نفسه وأهلك نفسه ، أي : أوقع الإهلاك بذاته كلها، فالنفس هنا تطلق على الإنسان جميعه ، ونفس الشيء : ذاته.
٣. وتأتي أيضاً في معنى ما يكون به التمييز.

© rasailjaraid.com

وقد وردت (النفس) في القرآن الكريم في مواضع عديدة ، وتعددت معانيها بحسب سياق الآيات الكريمة الواردة فيها :

١. النفس بمعنى الروح: ومنه قوله تعالى : وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ (٢٧)

٢. النفس بمعنى الإنسان كله روحاً وجسداً : ومنه قوله تعالى مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّاكَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ(٢٨) أي إن خلق جميع الناس وبعثهم بالنسبة إلى قدرة الله سبحانه كمثل خلق إنسان واحد ، فالجميع هين عليه سبحانه.

٣. النفس بمعنى القوى المفكرة في الإنسان، ومنه قوله تعالى: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا.(٢٩) فاليقين الذي هو إدراك علمي نسب إلى النفس ، كما هو واضح في قوله تعالى : وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ.

٤. النفس بمعنى القلب ، وما يتصل به من الصدر والفؤاد وغيرهما ، ومنه قوله تعالى : وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً (٣٠).

٥. النفس بمعنى قوى الخير والشر في الإنسان:

وهذه النفس لها صفات وخصائص كثيرة ، فهي تحب وتكره ، وتسول وتوسوس وتنوي، كما ترشد صاحبها إلى طريق الخير وتلومه على فعل الشر ، ولهذه آثار ظاهرة في السلوك الإنساني .

ومعظم آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر (النفس) يقصد بها هذا المعنى ، ومن ذلك قوله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ (٣١) وقوله تعالى : وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٢)، وقوله تعالى : وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٣٣).

الأسس العقدية لتزكية النفس

الأساس الأول : التوحيد

الأساس الثاني : الاعتصام بالكتاب والسنة

الأساس الثالث : الإيمان بالقضاء والقدر

الأساس الرابع : الإيمان باليوم الآخر

© rasailojarai.com

التزكية في بدايتها ونهايتها لا تخرج عن مقام العبودية لله ، فهو سبحانه هو المتفضل بإرشاد العباد لما فيه تزكية نفوسهم إذا هم أخلصوا التوجه له والصدق بين يديه قال تعالى : وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤).

وقال سبحانه : اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٥).

ولذلك كان الأساس الأول لتزكية النفس توحيد الله سبحانه ، وهو معنى شهادة التوحيد (أشهد أن لا إله إلا الله)، ثم يأتي الاعتصام بالكتاب والسنة، وهو مقتضى الشطر الثاني من الشهادتين (أشهد أن محمداً رسول الله).

الأساس الأول : التوحيد

المؤمن الموحد الذي تيقظت فطرته فإنه يحيا حياة كريمة، يشعر فيها بإنسانيته ويدرك أن لوجوده قيمة وغاية، ولحياته رسالة ، وينعم بسكينة النفس و طمأنية القلب. ويخلص نفسه من أسر العبودية للبشر لينال العزة والسمو بعبوديته للخالق سبحانه.

ولقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله عزوجل تؤكد هذا المعنى وتعرض الصورتين المتناقضتين لآثار التوحيد في اطمئنان النفس وسلامتها وتأثير الشرك في اضطرابها وقلقها ، وهذه بعض النماذج مما ورد في آيات القرآن الكريم.

نماذج قرآنية لبيان آثار التوحيد في النفس الإنسانية وآثار الشرك فيها :

النموذج الأول : قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ . يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء (٣٦)

© rasailjaraid.com

وهذه الآيات الكريمة تصور أثر التوحيد في النفس وتضرب له مثلاً بالشجرة الطيبة الثابتة التي لاتزعزعها الأعاصير،ولا تعصف بها الرياح، والمثمرة على مر الأيام دون أن ينقطع ثمرها وقد روى المفسرون عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:الكلمة الطيبة شهادة أن لا إله إلا الله(٣٧).

النموذج الثاني : قوله تعالى : فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ . حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣٨)

وفي هذا النص القرآني تصوير لحال المشركين الذين زلت أقدامهم عن طريق التوحيد ، وقد شبه الله سبحانه الإيمان بالسماء لعلوه ، والشرك بالسقوط منها ، فالمشرك ساقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر ، فهو كمن سقط من السماء إلى الأرض فتمزقت أوصاله وصارت الطير تتخطفها وتهوي بها الريح فتلقي بها في مكان سحيق ومن كانت هذه صفته لا يرجى له خلاص إذ يفقد القاعدة الثابتة قاعدة التوحيد ، والمستقر الآمن الذي يثوب إليه فتخطفه الأهواء تخطف الجوارح وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح. ونلاحظ في هذا المشهد سرعة الحركة مع عنقها وتعاقب خطواتها وهي صورة صادقة لحال من يشرك بالله تعالى(٣٩).

النموذج الثالث: قوله تعالى: فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ(٤٠).

وفي هذه الآية الكريمة بيان لحال المؤمن الذي استقامت فطرته على التوحيد فشرح الله صدره للإسلام ونور طريقه وتولاه بالخير وأما من امتنع عن قبول الإيمان واتجه إلى الضلال فإن الله يزيده ضلالاً ويجعل صدره ضيقاً منقبضاً(٤١).

الأساس الثاني : الاعتصام بالكتاب والسنة

أساس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فالشطر الأول هو التوحيد، أما الشطر الثاني فهو الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، والتصديق بما جاء به من عند الله سبحانه والاقتداء به، وامتثال أمره، وهذا هو الاعتصام بالكتاب والسنة .

© rasailjarad.com

والاعتصام من العصمة، وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور، والاحتماء من كل ما يضرك في دينك وآخرتك ، ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصام بحبل الله(٤٢)، قال تعالى : وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ (٤٣)

والمراد بالحبل الكتاب والسنة على سبيل الاستعارة ، فكما أن الحبل سبب لحصول المقصود به من السقي وغيره ، فكذلك الاعتصام بالكتاب والسنة سبب لسعادة الإنسان ونجاته من عذاب جهنم(٤٤).

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة ، والاستجابة لله ورسوله والطاعة والتسليم لأمر الله ورسوله ، وتبين أثر هذه الاستجابة في حياة المسلم وسعادته في الدنيا والآخرة .

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ(٤٥)

فالاستجابة لأمر الله ورسوله فيها النجاة والحياة ، حياة القلب ونجاته ، من أسر الشهوات وقيودها.

قال تعالى:لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(٤٦).

قال عزوجل : وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا (٤٧)

ولا يتم الاعتصام بالكتاب والسنة ما لم يحرص المسلم على التأسي والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فالقدوة طريق الاعتصام، وقد كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تطبيقاً عملياً لما يأمر به الإسلام ويحث عليه ، ولذلك أمرنا الله سبحانه بالتأسي برسول الله في أقواله وأفعاله وأحواله.

قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٤٨)

نماذج من الحديث النبوي لبيان أثر الاعتصام بالكتاب والسنة في تزكية النفس:

الاعتصام بالكتاب والسنة أساس في صلاح النفس واستقامة السلوك ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة أثر هذا الاعتصام في حياة الفرد والمجتمع ،

© rasailjaraid.com

ووصف بأساليب في غاية الحكمة حال المؤمن المعتصم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يناله من سكينة النفس والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، وحال المعرض عن هدي الإسلام وما يتعرض له من هوان وعذاب وشقاء .

ومن تلك النماذج ما روي :

عن الْعِرْبَاض بن سارية رضي الله عنه قال صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ».(٤٩)

فقد كان من أواخر ما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه الأمر بلزوم السنة وشدة التمسك بها، واجتناب الأمور المحدثة في الدين ، وأن هذا هو سبيل النجاة من كل اختلاف وفتنة وضلال وقد ورد في روايات أخرى.(أن الرسول صلى الله عليه وسلم قَالَ قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ).(٥٠)

و عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ ".(٥١)

وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه في إنذاره لقومه من عذاب الله، وفي دعوته لهم إلى النجاة بالنذير العريان، الذي يسرع منذرا بخطر الجيش القادم، وقد كان من عادة العرب أن الرجل إذا رأى خطراً من بعيد يوشك أن يدهم قومه نزع ثيابه وأشار بها إليهم إذا كان بعيداً

عنهم ليخبرهم بالخطر المحقق الذي وصل إلى درجة قصوى لا تحتمل انتظاراً ، فمن صدقه سار من أول الليل بعيداً عن موضع الخطر ومن كذبه ولم يطعه وبقي في مكانه حتى دخل الصباح اجتاحه الجيش فصار من الهالكين(٥٢).

الأساس الثالث : الإيمان بالقضاء والقدر

الأساس الثالث من أسس تزكية النفس هو الإيمان بالقضاء والقدر، وهو ركن من أركان الإيمان يقوم على الاعتقاد بأن الله سبحانه قدر الأشياء في علمه من الأزل وأنه سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وكل ما يقع في هذا الكون فهو بعلمه وقدره وقضائه، وبهذا يرتبط الإيمان بالقضاء و القدر بالركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله سبحانه وأسمائه وصفاته، ومن تلك الصفات العلم و الإرادة.

أما تعريف القضاء والقدر فقد اختلفت فيه عبارات العلماء، فمنهم من عرف القضاء تعريفاً مغايراً للقدر فقال: "القدر : علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل، والقضاء : إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته"(٥٣).

ومنهم من عرفهما تعريفاً واحداً فقال : " هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة والسنن التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها"(٥٤).

أو : " هو علم الله الأزلي بكل ما أراد إيجاده من العوالم والخلائق والأحداث والأشياء، وتقدير ذلك الخلق وكتابته في اللوح المحفوظ"(٥٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " تؤمن الفرقة الناجية – أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين:

فالدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى عليم بما الخلق عاملون، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .. كما قال تعالى : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٥٦) .

© rasailjaraid.com

وقال سبحانه : مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٥٧) .

وأما الدرجة الثانية : فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة ، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه ، لايكون في ملكه مالا يريد ، وأنه سبحانه على كل شيء قدير(٥٨).

وقد تكرر بيان ذلك في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية لترسيخ هذه العقيدة في النفوس ، وبيان أن الحياة والموت والرزق والنفع والضر كل ذلك بيد الله سبحانه يقضي فيه ما يشاء بعلمه وحكمته وأمره ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً (٥٩) .

وقوله عزوجل : وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ . وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٦٠).

أما الأحاديث النبوية التي تنص على هذه العقيدة وتبين أهميتها فهي كثيرة ، ومن أبرزها: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي يذكر سؤال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فلما سأله عن الإيمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره "(٦١).

وحديث عبدالله بن عباس عنهما أنه قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».(٦٢)

© rasailjarad.com

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر :

الإيمان بالقضاء والقدر يغرس في النفوس الإنسانية فضائل كثيرة وينزع منها شروراً وآثاماً كبيرة، وكلما زاد رسوخ هذه العقيدة في النفس ازدادت ثمراتها ، ولعل من أبرز هذه الثمرات ما يلي :

١. تخفيف الجزع عند المصيبة وعدم البطر عند تكاثر النعم لأن خير ما يعصم الإنسان من البطر والطغيان عند النعمة، ويصرفه عن الحزن المهلك واليأس القاتل عند نزول البلاء ، أن يؤمن بأن ما وقع له من خير أو شر قد جرت به المقادير ، وقضت به مشيئة الله سبحانه وحكمته فلا تذهب نفسه حسرات على مافوت من رغبات وآمال ، ولا يفقد رشده فرحاً وغروراً عند حصول النعم.

وفي هذا يقول الله عزوجل : مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٦٣)

ولا شك أن هذا يورث النفس الإنسانية السكينة والطمأنينة ويبعد عنها القلق والاضطراب، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: " لأن أعض على جمرة أو أقبض عليها حتى تبرد في يدي أحب إلي أن أقول لشيء قضاه الله: ليته لم يكن "(٦٤).

٢. غرس الشجاعة في النفس الإنسانية ، وتحليتها بالجود والسخاء وحب البذل في وجوه الخير لأن المؤمن بقضاء الله وقدره يعتقد أن الله هو الذي يحيي ويميت ، وأن الآجال والأرزاق بيد الله سبحانه، وأن الإنسان مهما بذل جهده فلن ينال أكثر من رزقه الذي قسم له ولن يحظى بأكثر من عمره الذي قدر أن يعيشه، فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ (٦٥). فالجبن والخوف من الموت لن يزيد في عمر الإنسان أو يؤخر من وفاته ، قال تعالى : أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ(٦٦).

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب "(٦٧).

© rasailjarad.com

٣ – والثمرة العظمى التي ينالها المؤمن بقضاء الله وقدره أن يحظى بالخير العظيم والجزاء الأوفى والنعيم المقيم في الآخرة ، وبذلك يجتمع عليه خير الدنيا والآخرة .

وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم "عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له "(٦٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط"(٦٩).

وصايا نبوية لتدريب النفس على الرضا بالقضاء والقدر :

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مربياً ومزكياً لنفوس أصحابه، وهي المهمة التي شرفه الله سبحانه بها، وتتجلى هذه التزكية بأوضح صورها من خلال هذه الوصايا الثلاث التي تعد بحق نماذج للعلاج النبوي لأمراض النفوس، وتدريبها عملياً على التسليم لقضاء الله وقدره والرضا به .

الوصية الأولى :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٧٠).

وفي هذا الحديث النبوي يبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أراد نيل محبة الله ورضوانه فعليه أن يبادر إلى تقوية إيمانه ومجاهدة نفسه وطلب القوة في العلم والجسم ، وغير ذلك من عناصر القوة النافعة التي تتضافر جميعها لتكوين شخصية المسلم الذي يحبه الله سبحانه.

الوصية الثانية : دعاء الاستخارة :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: " إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ

بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي ، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ "(٧١).

وهذه الوصية النبوية تعد تدريباً عملياً على توطين النفس ورضاها بالقضاء والقدر وتسليمها لما يقدر الله ، اعتقادا بأن ذلك هو الأصلح والأنفع للعبد.

روى الأعمش عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى يتيسر له ، نظر الله إليه من فوق سبع سموات ، فيقول للملائكة ، اصرفوه عنه ، فإني إن يسرته له أدخلته النار، قال: فيصرفه الله عنه ، قال : فيقول : من أين دهيت ؟ وما وهو إلا فضل الله سبحانه "(٧٢).

الوصية الثالثة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»(٧٣)

وفي رواية البخاري: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ»(٧٤).

وأخيراً لابد من القول : إن عقيدة القضاء والقدر كما وردت في الكتاب والسنة كانت عقيدة دافعة للعمل في عهد السلف الصالح(٧٥) ، وكان لها الدور الأكبر في ترسيخ الإيمان وصدق التوجه إلى الله سبحانه وتزكية النفس.

الأساس الرابع : الإيمان باليوم الآخر

خلق الله سبحانه الإنسان لحكمة ، وزوده بالإرادة التي يستطيع أن يكون بها طائعاً أو عاصياً والعقل الذي يميز به طريق الخير من الشر والقدرة على تنفيذ ما يريد ، وهذه الصفات

© rasailojaraid.com

تؤهله للامتحان الرباني ، والابتلاء في هذه الحياة ، وهذا الامتحان يقتضي الجزاء ، وإلا كان عبثاً لا معنى له، وتعالى الله عن ذلك.

قال سبحانه: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (٧٦)

وهكذا تأتي عقيدة الجزاء الرباني متصلة بالإيمان بالله الخالق العليم الحكيم القادر، والإيمان بالعدالة الإلهية المطلقة التي تقتضي عدم التسوية بين المحسن والمسيء ، والمسلم والكافر.

قال تعالى : أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ (٧٧)

ولقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن يكون اليوم الآخر هو يوم الجزاء الأوفى ، الذي يجازى فيه المحسن ويعاقب المسيء ويعود الحق إلى نصابه ويقتص من الظالم ويكرم فيه المتقون : لِيَجْزِيَ اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٧٨).

آثار الإيمان باليوم الآخر على النفس الإنسانية :

الإيمان باليوم الآخر له آثار عظيمة في تزكية النفس واستقامة أحوالها ، ومن أبرز هذه الآثار :

١ – حجز الإنسان عن المعاصي وتقوية الوازع الديني في قلبه وضبط هوى النفس بمقتضى الشرع:

فالإيمان باليوم الآخر يغرس في الإنسان رقابة داخلية على أعماله وهو يعلم أن الله مطلع عليه ولا تخفى عليه خافية ، وبذلك يستشعر الخشية من الله ، ويبقى شديد الحذر من عذابه مسارعاً إلى التوبة كلما وقع في معصية ، معتقداً أنه مسؤول عن أقواله وأفعاله ، ومحاسب على ما أظهر وأبطن ، وأن كل صغيرة أو كبيرة تحصى عليه وتسجل في صحائف أعماله .

قال تعالى : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (٧٩)

٢ – المسارعة إلى الطاعة والعمل الصالح :

© rasailoiarabi.com

كلما زاد تطلع المؤمن إلى اليوم الآخر وشوقه لما أعد الله لعباده المتيقن في الجنة،كان أكثر مسارعة إلى العمل الصالح ومضاعفة الجهد في المسابقة إلى الخيرات،وقد قال تعالى مبشراً عباده المسارعين إلى الطاعة بالجزاء العظيم في الجنة : وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (٨٠).

٣ – بذل النفس والمال في سبيل الله :

لقد أدت عقيدة الإيمان باليوم الآخر إلى تحول نفسي عميق عند المسلمين الصادقين ، فآثروا تحمل المشاق وأحبوا الاستشهاد في سبيل الله ، واندفعوا للبذل والعطاء ، واستعلت نفوسهم على كل قوى الأرض الحائدة عن منهج الإيمان ، واثقين بأن الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم التي هي أعز ما عند الإنسان ، فبذلوها لينالوا جنة عرضها السموات والأرض ، ويظفروا بالربح العظيم ، قال تعالى : إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨١).

٤ – الصبر على المصائب :

كما أن إيمان المؤمن بالقضاء والقدر يدفعه إلى الصبر على المصائب ومقابلتها بالتسليم والرضا فكذلك إيمانه باليوم الآخر يزيد من صبره ويخفف من حزنه ، لأنه يرجو الأجر العظيم يوم القيامة ، ويعلم أن هذه الدنيا دار ممر وأن المصائب ابتلاء من الله يرفع بها مقام عباده إذا صبروا ويكفر عنهم بها من خطاياهم .

قال تعالى : إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (٨٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله تعالى بها من خطاياه "(٨٣).

٥ – الحذر من إيذاء الآخرين :

المؤمن بالله واليوم الآخر يخشى من الإساءة إلى إخوانه المسلمين أو التسبب في إيذائهم، ويتجنب كل ما فيه اعتداء عليهم ، في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم ، لأنه يعلم أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية ، وأنه إن نجا من العقاب الدنيوي وتغلب على غيره بقوته ودهائه ،

© rasailojarau.com

فلن ينجو من العقاب في الآخرة ، حيث يتكاثر حوله الخصوم حتى يصبح مفلساً ويهلك مع الهالكين.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(٨٤) .

وسائل التزكية

التزكية بناء شامخ يقوم على أسس وقواعد، كما يحتاج إلى وسائل وأعمال ، لكي يحقق أهدافه ويثمر ثمراته ونتائجه. والعمل بهذا البناء دائم لا يتوقف حتى الموت ، لأن تزكية النفس عملية مستمرة وترقيها في مقامات القرب من الله سبحانه لا حد له ، وكل ذلك لا يخرج عن مقام العبودية لله سبحانه .

ونعرض فيمايلي بعض وسائل شرعية عملية للتزكية ونبين ما تحققه من تأثير كبير في تزكية النفس وبناء الشخصية الإسلامية المتكاملة ومن تلك الوسائل :

١. العلم النافع :

العلم النافع الذي يحقق التزكية: هو كل علم يقرب من الله سبحانه ويزيد الخشية منه ويدفع إلى العمل الصالح. ويدخل في هذا العلم الشرعي أولاً ثم تأتي بعض العلوم الأخرى التي تدفع الإنسان إلى التفكر في المخلوقات وإدراك قدرة الله تعالى وبديع صنعه. وقد استدل الإمام البخاري بهذه الآية الكريمة على أهمية العلم وكونه سابقاً للعمل، لأن الله سبحان بدأ بالعلم قبل العمل، حيث قال : فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثم قال : وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ (٨٥) .

وقد حفلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالتأكيد على أهمية العمل الصالح في تزكية النفس والسمو بها إلى المنزلة العالية والمقام العظيم ، وتحقيق السعادة في الدارين .

قال تعالى: مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (٨٦).

© rasailbjarai.com

وروى مسلم عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآَنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»(٨٧).

ولهذا كان العلم النافع القائم على توحيد الله سبحانه الوسيلة الأساسية الأولى لتزكية النفس وبلوغها مقامات الخشية والقرب من الله ، وتصحيح مسار المسلم و ترسيخ الإيمان في قلبه .

آثار العلم النافع في مجال التزكية :

أ. العلم النافع يعرف المسلم بالعقيدة الصحيحة ويرسخ إيمانه بها ، ويزيد يقينه بقدرة الله وبديع صنعه وحكمته في خلقه وتدميره ، ويقوي دعائم أركان الإيمان في نفسه ، وهذه الأركان هي الأساس في تزكية النفس .

ب. العلم النافع يعلم المسلم أحكام الحلال والحرام ، وكل ما يحتاجه من أحكامه العبادات والمعاملات فالعلم إمام العمل وقائد له ، ولابد أن يكون العمل موافقاً للكتاب والسنة لكي يقبله الله سبحانه والعامل بغير علم كالسائر بلا دليل في مكان يعرفه .

ج. العلم يحفظ صاحبه من موارد الهلكة ، فالإنسان لا يعرض نفسه للتلف والخطر إلا إذا كان جاهلاً بذلك لا علم له به ، فهو كمن يأكل طعاماً مسموماً، ولو علم بالسم لامتنع عن أكله فالعلم يحرس صاحبه ، ويجنبه مداخل الشيطان ويحجزه عن المعاصي . (٨٨)

د. العلم يثمر أعظم ثمرة يتمناها كل مسلم وهي الخشية من الله تعالى ومحبته والقرب منه ، وهذه الخشية تنمو في النفس ، كلما ازداد المسلم طلباً للعلم وعملاً به ، والخشية الصحيحة لا يحظى بها إلا العلماء العاملون، كما قال الله : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء (٨٩).

هـ. العلم كفارة للذنوب والخطايا وتطهير للنفس ، وذلك لأن العلم عبادة جليلة يحظى بها المسلم بالأجر العظيم، وهو من الحسنات التي يكفر الله بها السيئات . كما قال تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ (٩٠). وقال صلى الله عليه وسلم : " وأتبع السيئة الحسنة تمحها"(٩١).

© rasailjaraid.com

و. العلم منشط للنفس وممتع لها ، وهذه المتعة تنسي طالب العلم ما يناله من متاعب ، وتخفف عنه ما يبذله من عناء ، لأنه يجد في العلم مرتعاً يأوي إليه ويرتاح عنده ، وبذلك تقوى الهمة عنده في طلب العلم ولا يشبع منه أبداً. وهذا ما أشار إليه الحديث النبوي الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال "(٩٢).

٢ – الصلاة وآثارها في تزكية النفس :

تأتي الصلاة في مقدمة العبادات التي تؤدي دوراً عظيماً في تقوية إيمان المسلم وتربيته وتحقيق عبوديته لربه عزوجل ، ولعل من أبرز آثارها في مجال تزكية النفس ما يلي :

أ. الاستجابة لأمر الله تعالى وإظهار العبودية له سبحانه :

فالمسلم عندما يقف بين يدي ربه لأداء الصلاة إنما يستجيب لأمر الله ويتقرب إليه بطاعته ويعلن الخضوع والتذليل له سبحانه ويتشرف بالعبودية له .

وقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين الذين استجابوا لأمره ، فقال عزوجل : وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٩٣).

فالعبد في صلاته يقف بين يدي ربه موقف العبودية والتذلل والإنكسار ،ولا يلتفت يميناً أو يساراً، ويتوجه بكليته إلى ربه ، ثم يكبر بالتعظيم والإجلال مستحضراً ألا يكون في قلبه شيء أكبر من الله يشغله عنه، ثم يثني على الله بما هو أهله ، فإذا شرع في القراءة قدم أمامها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، فإنه أحرص ما يكون على الوسوسة للعبد في مثل هذا المقام الذي هو أشرف مقامات العبودية (٩٤).

وهكذا تتجلى في كل أفعال الصلاة العبودية لله سبحانه ، وإقبال العبد على ربه ، وتوحيده وتقوية الإيمان به الذي هو أساس التزكية، وهذه أعظم ثمرة من ثمرات الصلاة، وهي التي تنير للعبد طريق حياته وتمنحه طهارة القلب وطمأنينة النفس .

ب. مناجاة العبد لربه :

الصلاة صلة بين العبد وربه ، يستمد منها القلب القوة وتحس فيها النفس بالثبات والطمأنينة فهي معراج روحي تسمو به روح المؤمن. وهذا ما جاء في الحديث الذي رواه أنس بن

© rasailbiarabi.com

مالك قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلاَةِ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ»(٩٥).

ولعل هذا سر من أسرار تكرار الصلاة المفروضة في اليوم خمس مرات ، ينتزع فيها الإنسان نفسه من دنياه وما فيها من أحقاد وصراعات، ويقف بين يدي مولاه لحظات خاشعة يخفف بها عن نفسه من هموم الحياة ومتاعبها، ويغذي الجانب الروحي من كيانه ، ذلك الجانب الذي لا يغذيه إلا معرفة الله سبحانه وحسن الصلة به(٩٦) ومناجاته بخشوع والتقرب إليه بالعمل الصالح .

ولا شك أن هذه المناجاة من أعظم أسباب تزكية النفس وتقوية الإيمان إذا هيأ العبد نفسه لها، ولم ينشغل في صلاته بالتفكير في أمور الدنيا وإنما أقبل عليها إقبال المتشوق للوقوف بين يدي ربه الوافد عليه، المستمطر لرحمته وفضله يستمد العون منه سبحانه في كل أموره وأعماله.

ج. طمأنينة النفس وراحتها :

إذا أقبل العبد على صلاته بهمة ورغبة واستشعر مناجاته لربه وتضرعه بين يديه ، فإن تلك الصلاة تمده بقوة روحية وتمنحه طمأنينة النفس وراحتها ، وتعينه على مواجهة متاعب الحياة ولذلك قال الله تعالى موجهاً عباده إلى أهمية الصلاة في تحقيق الراحة النفسية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٩٧)

فالصلاة أكبر عون على مهمات الحياة ومصائبها يلجأ فيها العبد المكروب إلى ربه فيجد راحته ويحس بتأييد الله له ورحمته به. وعن حذيفة رضي الله عنه قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى "(٩٨).

د. الصلاة حاجز عن المعاصي :

عندما يؤدي العبد الصلاة وترتاح بها نفسه فإنها تمده بقوة دافعة لفعل الخيرات والابتعاد عن المنكرات وتغرس في قلبه مراقبة الله ورعاية حدوده والابتعاد عن الانحراف والتغلب على نوازع الهوى ومجاهدة النفس الأمارة بالسوء فهي سياج منيع يقيه من الوقوع في المعاصي ولذلك قال الله تعالى : وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ (٩٩).

© rasailjaraid.com

هـ. الصلاة تكفير للسيئات ورفع الدرجات :

لا يخلو مؤمن من زلة أو هفوة يعصي بها ربه وهذه المعاصي يتراكم أثرها على القلب حتى يظلم ولابد لها من استغفار وتوبة دائمين. ومن رحمة الله سبحانه بعباده أنه جعل الأعمال الصالحة تكفيراً للسيئات ورفعاً للدرجات وبخاصة الصلاة وما يصاحبها من وضوء ومشي إلى المسجد وذكر وتسبيح .

وقد وردت بذلك أحاديث نبوية كثيرة منها:

عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ غصناً يابساً فهزه حتى تحات ورقه فقال : "يا سلمان ألا تسألني لم أفعل هذا ؟ قلت : ولم تفعله؟ قال: إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما تحات هذا الورق وقرأ : وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١٠٠).

و. الصلاة تدريب عملي على مجاهدة النفس :

إذا أراد العبد أن يعود نفسه على الطاعات ويجاهدها حتى يروضها ويكسر من حدتها فعليه أن يكثر من الصلوات ويحافظ على النوافل ويحرص على التكبير إلى المساجد وإسباغ الوضوء على المكاره والبرد الشديد الذي يشق على النفس وغير ذلك من الأعمال المتعلقة بالصلاة التي تكبح جماح النفس، طمعاً في القرب من الله سبحانه وتكفير الذنوب ورفع الدرجات .

روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»(١٠١).

٣. الزكاة والصدقات

© rasailjarraid.com

الزكاة ركن من أركان الإسلام وهي اسم لما يجب على المسلم أن يخرجه من ماله إلى الفقراء بالشروط التي حددها الإسلام وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات ، فاللفظ مأخوذ من الزكاء وهو النماء والطهارة والبركة(١٠٢).

وكما أمر الإسلام بالزكاة وجعلها فرضاً لازماً فقد رغب في الصدقات التي هي تطوع ونفل يزداد بها العبد تقرباً إلى ربه ، وكلما أكثر من تلك الصدقات وسارع إلى البذل والإنفاق كان ذلك تطهيراً لنفسه وماله وتزكية له ومضاعفة لأجره عند الله سبحانه.

آثار الزكاة والصدقات في مجال تزكية النفس :

الزكاة تزكية وتطهير لنفس الغني وماله، كما أنها تزكي نفس الفقير وتطهرها من آفاتها وبذلك استحقت هذه العبادة الجليلة أن يشق لها اسم من التزكية فتسمى زكاة، ولكي تتأكد هذه الصلة الوثيقة بين الزكاة والتزكية نستعرض أبرز آثار الزكاة في مجال تزكية النفس وأهميتها كوسيلة عملية من وسائل التزكية التي ترتقي بالعبد حتى يبلغ منزلة المتقين.

أ. الزكاة اختبار عملي لاستجابة المؤمن لأمر ربه :

فالله سبحانه هو الخالق الرازق وهو المنعم المتفضل وهو المالك الحقيقي الذي وهب للإنسان هذا المال وجعله وديعة بين يديه ينفقه في مرضاة مولاه ، ويؤتي الفقير حقه الواجب منه قال تعالى : وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ (١٠٣) .

وهكذا تحقق الزكاة أهدافها في تقوية الإيمان وتعميق عقيدة التوحيد في النفس التي هي الأساس الأول للتزكية وتكون الزكاة برهاناً على إيمان صاحبها واستجابته لأمر الله وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "والصدقة برهان "(١٠٤).

ب. تطهير النفس من آفة الشح :

النفس مجبولة على حب المال والتعلق به والبخل في إنفاقه وطلب الزيادة منه ، وقد قال تعالى واصفاً هذه الطبيعة من طبائع النفس الإنسانية : وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (١٠٥) والخير هنا بمعنى المال.

والله سبحانه يحذرنا من آفة البخل والشح، ويجعل الفلاح مرتبطاً بالتخلص من هذه الآفة وتطهير النفس منها.

© rasailjarajd.com

يقول تعالى : وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٦).

ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم خطر الشح في إيقاع العداوة وتأجيج نار الخصومة واستباحة الدماء وظلم العباد ، ففي الحديث عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(١٠٧).

ج. تطهير نفس الفقير وتزكيتها :

ليست الزكاة تطهيراً وتزكية لنفس الغني فحسب وإنما هي تطهير لنفس الفقير إذا أديت بشروطها وآدابها ، فكما أن الغني يتطهر من آفة الشح والبخل فإن الفقير يتطهر من آفة الحسد والضغينة على الأغنياء لأن النفس التي تنظر إلى أصحاب الأموال وقد حرمت من ضروريات الحياة قد تحمل الضغينة والحقد وتتوقد حسداً وكراهية لأولئك الأغنياء الذين يكنزون الأموال ويتقلبون في ألوان النعم وغيرهم يعاني من الحرمان.

وقد بين الله تعالى أثر الزكاة والصدقات في تطهير النفس من الضغائن. فقال عزوجل: إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ . إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (١٠٨). كما جاء في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان : صدقة وصلة"(١٠٩).

د. شكر النعمة ومعرفة قدرها :

الزكاة والصدقات مظهر عملي يشعر بشكر النعمة التي أنعم الله بها على عباده، وبذلك ينمو في النفس الشعور بقيمة النعم وتقديرها ،ووجوب الشكر عليها بالقول والعمل، وبخاصة عندما يقارن صاحب المال حاله بما يجده من أحوال الفقراء المعدمين الذين ابتلوا بالفقر والبؤس ، ولولا أنه مكلف شرعاً بتفقد أحوالهم ومساعدتهم لما أدرك عظيم النعمة التي هو فيها، وإنما يبقى مشغولاً بما يحيط به من المال والتجارات حتى يعتاد هذه النعم ويقل شعوره بفضل المنعم ، مما يدفعه إلى التراخي في العبادات والتكاسل عن الطاعات. وقد وعد الله عباده

© rasailoarabi.com

الشاكرين بزيادة النعم والبركة فيها. قال تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (١١٠).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نقص مال من صدقة.(١١١)

وهكذا تؤدي الزكاة والصدقات دورها في تزكية النفس واستقامة السلوك وإصلاح الفرد والمجتمع.

٤. الصيام

فرض الله تعالى الصيام على هذه الأمة وجعله ركناً من أركان الإسلام كما فرضه على الأمم السابقة .

قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١١٢).

قال الإمام الفخر الرازي: " بين الله سبحانه أن الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وانقماع الهوى فإنه يردع عن الأشر والبطر والفواحش ويهون لذات الدنيا"(١١٣).

آثار الصيام في مجال تزكية النفس :

عندما يستشعر الصائم حقيقة الصيام ويجعل صيامه إيماناً واحتساباً لا تقليداً وعادة ، ويبتعد عن المعاصي والآثام كما صام عن الطعام والشراب ، فإن هذا الصيام له ثمرات عظيمة في تزكية النفس وهو بحق مدرسة تربوية فريدة، ودورة تدريبية تجدد الإيمان وتقوم السلوك والأفعال. وهذه أبرز آثار الصيام في مجال تزكية النفس وتهذيبها:

أ. تدريب النفس على كمال العبودية لله سبحانه:

الامتثال لأمر الله وكمال العبودية له عزوجل هو الهدف الأسمى من كل عبادة ، ولكن ذلك يظهر في الصيام أكثر ، فالصائم يجوع ويعطش وأسباب الغذاء والري أمامه ميسرة ، ولولا طاعته لربه وخشيته منه سبحانه وامتثاله لأمره ورغبته في رضاه لما امتنع عن الطعام والشراب وهو يشعر بالجوع ويتلهف أحياناً إلى شربة ماء.

© rasailjarraid.com

وهكذا يربي الصيام في نفس المؤمن العبودية لربه ، وينمي فيه خلق المراقبة والمحاسبة الذاتية ولو ابتعد عن أعين الناس ولذلك يضاعف الله له الأجر بغير حساب. روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشهوته من أجلي"(١١٤).

ب. تقوية الإرادة والتدريب على الصبر :

من آثار الصيام وحكمه أنه يقوي الإرادة ويدرب النفس على الصبر عند المصائب والشدائد ، فالصائم يجوع وأمامه لذيذ الطعام ومع ذلك يمتنع ولا رقيب عليه إلا ربه سبحانه ، وبذلك تقوى إرادته ويتحرر من سلطان شهواته ويتغلب على تحكم العادات التي قد يظنها لقوة هيمنتها طبيعة من طبائعه.

والصوم مدرسة للتعويد على الصبر والتغلب على ثورة الانفعال أو الغضب ابتغاء مرضات الله سبحانه ولذلك جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم (١١٥).

ج. التدريب على مجاهدة النفس :

لابد من مجاهدة النفس لتكف عن المعاصي وتسارع إلى الطاعات وهذه المجاهدة وسيلة المسلم لكي يمسك بزمام نفسه، وهو معها بين موافقة ومعارضة وقبول ورفض،وكثيراً مايرخى لها الزمام ويعلن أمامها الاستسلام.

فإذا جاء شهر رمضان كان فرصة عظيمة لتدريب المسلم على مجاهدة نفسه وأن يبادر إلى إلزامها بأمر الله عزوجل والتغلب على نزعاتها المحرمة وأهوائها المفسدة.

د. التعريف بقدر النعم :

الإنسان إذا تكررت عليه النعم قل شعوره بها ، ولا بد له لكي يحس بكمال النعمة أن يتذوق ضدها حيناً من الوقت حتى لا يتعود على النزف ويصل به الحال إلى البطر والجحود وينسى المنعم سبحانه ، ويفقد شعوره بجوع الجائعين وبؤس البائسين(١١٦).

© rasailjaraid.com

٥. الحج

الحج ركن من أركان الإسلام ويمتاز عن باقي الأركان بأنه عبادة قلبية وبدنية ومالية ، وأنه يجب في العمر مرة واحدة على المستطيع وأن له مكاناً معيناً لا يؤدي إلا فيه وهو بيت الله الحرام والمشاعر المقدسة.

قال تعالى : إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (١١٧).

وقال سبحانه: وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ (١١٨).

فالله سبحانه جعل منافع الحج تحقيق مصالح الدين والدنيا وقد جاء اللفظ نكرة ليدل على كثرة المنافع وتجددها وتنوعها، ومن أبرزها تزكية النفس وتقويم السلوك وتغذية الروح بتلك الدورة التدريبية الإيمانية التي تقام في أقدس بقعة على وجه الأرض.

آثار الحج في مجال تزكية النفس :

أ. الحج تدريب عملي على امتثال أمر الله سبحانه :

أول ما يستفيده الحاج من مدرسة الحج تمام العبودية والتسليم والانقياد لله وحده وفي ذلك يقول الشيخ أبو الحسن الندوي حفظه الله : " الحج بمناسكه وأركانه وأعماله كله تمرين وتمثيل للإطاعة المطلقة وامتثال للأمر المجرد وتلبية وإجابة للطلب فالحاج يتقلب بين مكة ومنى وعرفات والمزدلفة ثم منى ومكة يقيم ويرحل ويمكث وينتقل ويخيم ويقلع إنما هو طوع إشارة ورهين أمر"(١١٩).

ثم إن كثيراً من أعمال الحج قد لا يدرك العقل المراد منها كرمي الجمار وتحديد الطواف والسعي بسبعة أشواط وتقبيل الحجر الأسود، ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عندما يقبل الحجر الأسود: "والله إني لأقبلك وإني أعلم أنك حجر وأنك لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك"(١٢٠).

© rasailojarajd.com

ب. الحج غذاء للروح :

لابد للروح من غذاء يتزود به المسلم ليزداد إيماناً وخشية ويغذي فيه عاطفة الحب لله ولرسوله وتمتلئ جوانحه شوقاً إلى لقاء ربه والخشوع بين يديه، حتى يذوق حلاوة الإيمان وينعم بالسكينة والاطمئنان. وإذا كان العبد يقف بين يدي ربه في صلاته خمس مرات ينال بها غذاء الروح وصفاء النفس فإن الحج غذاء أكبر بما يمنحه من شحنة إيمانية قوية وبما يورثه من عاطفة متأججه نحو هذه الأماكن المقدسة التي تحن إليها القلوب وتهوي إليها الأفئدة .

وهذا مصداق لدعاء إبراهيم عليه السلام كما ورد في قوله تعالى : رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ (١٢١).

وقد استجاب الله دعاء إبراهيم عليه السلام وجعل قلوب العباد تهوي إلى البيت وتحن إليه وتشتاق إلى زيارته والطواف حوله ، وتجد في ذلك متعة وغذاء للروح ، وهذا بلا شك يزيد الإيمان في القلب ويقوي الصلة بين العبد وخالقه ويرقى بالنفس في مقامات التزكية.

ج. الحج جهاد للنفس وتدريب لها على تحمل المشاق :

الحج تدريب عملي على الحياة الفاضلة التي يريدها الإسلام حيث يلتزم الحاج بحسن عباداته وتركز على علاج النفس من هذه الآفات. ويتجلى ذلك في عدة أمور من أبرزها :

. ما يبذله الحاج من مال ينفقه على سفره وتنقله وما يتقرب به من هدي وذبائح ابتغاء مرضاة الله ، وقد أشار الحق سبحانه إلى أن القصد من هذا الهدي تطهير النفس من الشح وتزكيتها حتى تتحقق بالتقوى فقال تعالى : لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ (١٢٢).

. اجتماع الحجاج في صعيد واحد لباسهم واحد ونداؤهم واحد يدعون رباً واحداً، تجمعهم أخوة الإسلام وتلتقي قلوبهم بين المساواة فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى إنها وحدة في المشاعر ووحدة في الشعائر ووحدة في الهدف(١٢٣).

© rasailoljarad.com

وبذلك يحقق الحج والعمرة دورهما في تزكية النفس ، كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"(١٢٤).

٦. الجهاد

إن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة وله آثار عظيمة في تزكية النفس ، وأول ما ينبغي ملاحظته أن الله تعالى جعل الفلاح متعلقاً بتزكية النفس فقال تعالى : قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (١٢٥). وقال سبحانه: وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٢٦). فطريق الفلاح هو طريق الدعوة والجهاد ، ومن هنا كان الجهاد بأنواعه وسيلة عظمى للتزكية في المنهج الإسلامي (١٢٧).

ولقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة في الأمر بالجهاد وبيان فضله ومنزلته وما أعده الله للمجاهد من أجر عظيم، والتأكيد على أهمية الجهاد في تقوية الإيمان والتحقيق بالصدق،ومن ذلك قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٢٨).

وقوله سبحانه : لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٢٩).

وهناك عشرات الأحاديث النبوية الواردة في الجهاد وبيان منزلته بين العبادات الإسلامية منها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور(١٣٠).

آثار الجهاد في مجال تزكية النفس :

لهذا الجهاد آثاره العظيمة في تزكية النفس والتي تتجلى في الجوانب التالية :

أ. تحرير النفس من حب الحياة

© rasailjaami.com

الجهاد تحرير للنفس من حب الحياة والتعلق بها ، وبيع لها في سبيل الله ، وتدريب عملي على الزهد في الدنيا والتطلع إلى الآخرة والتشوق لما أعده الله لعباده في الجنة وهذا من أعظم ما يهدف إليه المنهج الإسلامي في تزكية النفس .

قال تعالى : إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣١).

ب. تحمل المشاق في سبيل الله وتمحيص النفس

طريق الجنة محفوف بالمكاره ولا ينال براحة البدن ، ولا بد من تعويد النفس على المشاق والصعاب ليقوى بنيانها وتصمد في وجه الشدائد والأموال ، وتدع الخمول والكسل والتواني.

كما أن حكمة الله سبحانه اقتضت أن تتعرض النفوس للتمحيص ليظهر ثباتها ويستقيم حالها ولا شك أن أكبر ميدان لهذا التمحيص هو ميدان الجهاد .

قال تعالى : إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ .وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ . وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (١٣٢).

ج. الجهاد عزة النفس وقوة لها

الجهاد أعظم وسيلة لتنمية العزة في نفس المسلم وتقوية كيانها وتطهيرها من الذلة والانطوائية والخمول وغيره من الصفات المهلكة للفرد والمجتمع. ولقد بين الله تعالى أن المؤمن عزيز الجانب لأنه يستمد العزة من إيمانه بربه وتمسكه بدينه ، فقال تعالى: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٣٣) ، فإذا تخلى المسلم عن الجهاد وشغل بالدنيا عن الآخرة ، تعودت نفسه الذلة والهوان والاستكانة والخنوع .

© rasailjaraid.com

ولهذا جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم"(١٣٤).

خلاصة البحث

لقد تظافرت نصوص الكتاب والسنة ببيان أهمية تزكية النفوس وما لها من مكانة عالية ومنزلة رفيعة.

التزكية في اللغة النماء والطهارة والبركة. وتزكية النفس: هو تطهيرها من نزعات الشر والإثم ، وتنمية فطرة الخير فيها مما يؤدي إلى استقامتها وبلوغها درجة الإحسان .

الأسس العقدية لتزكية النفس أربعة : التوحيد والاعتصام بالكتاب والسنة والإيمان بالقضاء والقدر والإيمان باليوم الآخر.

من وسائل التزكية: العلم النافع و الصلاة و الزكاة والصدقات و الصيام و الحج و الجهاد

الهوامش

(١) الشمس: ١ . ١٠

(٢) الأعلى: ١٤ . ١٥

(٣) طه: ٧٥ . ٧٦

(٤) النازعات:١٨

(٥) الجمعة: ٢

(٦) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري: لسان العرب ، دار صادر بيروت، ١٤ / ٣٥٨

(٧) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دارالمعرفة، بيروت، ص ٢١٣

(٨) ابن منظور ، لسان العرب ١٤ / ٣٥٨

© rasailojaraid.com

(٩) المؤمنون:٤

(١٠) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ٣ / ٢٣٨

(١١) الشمس : ٩ — ١٠

(١٢) النحل : ٥٩

(١٣) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، دار الندوة الجديدة بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ص ٨٤

(١٤) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: مجموع الفتاوى، المحقق: أنور الباز عامر الجزار ، ١٠ / ٦٢٨ — ٦٢٩

(١٥) النجم : ٣٢

(١٦) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ١٠ / ٩٧ — ٩٨

(١٧) الفيروزآبادي، مجد الدين: بصائر ذوي التمييز،: مكتبة العبيكان ، الرياض، ١٣ / ١٣٤

(١٨) النساء : ٤٩

(١٩) البقرة : ١٥١

(٢٠) التوبة : ١٠٣

(٢١) الشمس : ٩

(٢٢) البقرة : ٤٣

(٢٣) النساء : ٤٩

(٢٤) النجم : ٣٢

(٢٥) الطبراني أبوالقاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار- بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ — ١٩٨٥، ١ / ٢٠١، و. البيهقي أبوبكر، أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دارالكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، ٤ / ٩٥

(٢٦) . ابن منظور ، لسان العرب — مادة نفس — ٦ / ٢٣٣ ، والراغب الأصفهاني: المفردات ص ٥٠١

(٢٧) الأنعام : ٩٣

(٢٨) لقمان : ٢٨

© rasailojaraid.com

(٢٩) النمل : ١٤

(٣٠) الأعراف : ٢٠٥

(٣١) ق : ١٦

(٣٢) النازعات : ٤٠ — ٤١

(٣٣) القيامة : ٢

(٣٤) النور:٢١

(٣٥) البقرة:٢٥٧

(٣٦) إبراهيم:٢٤ — ٢٧

(٣٧) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٣٠

(٣٨) الحج:٣٠ — ٣١

(٣٩) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣ / ٢١٩ ، الآلوسي، شهاب الدين محمود: روح المعاني، دار الفكر بيروت، ١٤٠٣هـ، ٦ / ١٤٩

(٤٠) الأنعام:١٢٥

(٤١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢ / ١٧٤ ، سيد قطب: في ظلال القرآن ، مصدر الكتاب : موقع التفاسير ، http://www.altafsir.com ، ٣ / ١٢٠٤

(٤٢) ابن قيم الجوزية،: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي بيروت، ١ / ٤٦٠

(٤٣) آل عمران : ١٠٣

(٤٤) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ٢٤٥

(٤٥) الأنفال : ٢٤

(٤٦) الرعد:١٨

(٤٧) الحشر : ٧

(٤٨) الأحزاب:٢١

(٤٩) أبو داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داؤد، دار الحديث حمص سوريا ط١، ١٣٩٣هـ، كتاب السنة، رقم الحديث ٤٦٠٧ والترمذي أبوعيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة: السنن، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، كتاب العلم، رقم الحديث ٢٦٧٨

© rasailjaraid.com

(٥٠) ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد: المسند ، المكتب الإسلامي بيروت، ٤ / ١٢٦، . وابن ماجه، أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني : سنن ابن ماجه، دار الفكر بيروت ، ١ / ٤ ، ١٦

(٥١) البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري ، دار ابن بشير لبنان كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ١٤٠/٨ و القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم ، دار التراث العربي بيروت، كتاب الفضائل رقم الحديث ٢٢٨٣

(٥٢) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: شرح النووي على صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ ١٥ / ٤٨ – ٥٠

(٥٣) محمد نعيم ياسين، الدكتور : الإيمان أركانه ، حقيقته ونواقضه ، مكتبة الأقصى ، عمان ١٩٧٨م، ص ٧٢

(٥٤) سيد سابق : العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي – بيروت ص / ٩٥

(٥٥) الجزائري، أبوبكر: عقيدة المؤمن، مكتبة العلوم والحكم، دار العقيدة ، المدينة المنورة، ص ٣٤٨

(٥٦) الحج : ٧٠

(٥٧) الحديد : ٢٢

(٥٨) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: العقيدة الواسطية ، دار الكتب العلمية بيروت، ص ٣٢ – ٣٣

(٥٩) آل عمران : ١٤٥

(٦٠) الأنعام : ١٧ – ١٨

(٦١) مسلم : صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، رقم الحديث ٨

(٦٢) الترمذي : السنن، كتاب صفة القيامة والرقائق ، رقم الحديث ٢٥١٦

(٦٣) الحديد : ٢٢ – ٢٣

(٦٤) الصنعاني، أبوبكر عبدالرزاق بن همام : المصنف ، المكتب الإسلامى بيروت، ١١ / ٢٠٠٨٠، و. ابن قيم الجوزية: طريق الهجرتين وباب السعادتين ، دار الحديث بالقاهرة ، ١٩٩١م، ص٨٠

(٦٥) الأعراف : ٣٤

(٦٦) النساء : ٧٨

(٦٧) أبو نعيم الأصبهاني ، الحلية ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥هـ ١٠ / ٢٧

(٦٨) مسلم : الصحيح، كتاب الزهد والرقائق ، رقم الحديث ٢٩٩٩

© rasailojarab.com

(٦٩) الترمذي : السنن ، كتاب الزهد ، رقم الحديث ٢٣٩٦

(٧٠) مسلم : الصحيح، كتاب القدر ، باب الأمر بالقوة وترك العجز ، رقم الحديث ٢٦٦٤

(٧١) البخاري : الصحيح، كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة ٧ / ١٦٢ ، الترمذي : السنن، رقم الحديث ٤٨٠

(٧٢) ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ص ٨٠

(٧٣) مسلم : الصحيح، كتاب الزهد ، رقم الحديث ٢٩٦٣

(٧٤) البخاري: الصحيح، كتاب الرقاق ، ٧ / ١٨٧

(٧٥) الآجري، أبوبكر: الشريعة ، مصدر الكتاب : موقع جامع الحديث ، ص ٢٠٠

(٧٦) المؤمنون : ١١٥ – ١١٦

(٧٧) الجاثية : ٢١

(٧٨) إبراهيم : ٥١

(٧٩) ق : ١٦ – ١٨

(٨٠) آل عمران : ١٣٣

(٨١) التوبة : ١١١

(٨٢) الزمر : ١٠

(٨٣) البخاري: الصحيح ، كتاب المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرض ٧ / ٢

(٨٤) مسلم : الصحيح، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم رقم الحديث ٢٥٨١

(٨٥) محمد : ١٩

(٨٦) فاطر : ١٠

(٨٧) مسلم : الصحيح ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، رقم الحديث ٢٢٣

(٨٨) ابن رجب الحنبلي: فضل علم السلف على الخلف، مصدر الكتاب: موقع الوراق http://www.alwarraq.com ، ص ١١١

(٨٩) فاطر : ٢٨

(٩٠) هود : ١١٤

(٩١) الترمذي : السنن، كتاب البر رقم الحديث ١٩٨٨

© rasailojaraid.com

(٩٢) الحاكم، أبوعبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية بيروت،١/٩٢

(٩٣) الشورى : ٣٨

(٩٤) ابن قيم الجوزية: الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن،تحقيق:مجدي فتحي السيد،ص:٣١

(٩٥) البخاري : الصحيح، كتاب الصلاة ، ١ / ١٠٧

(٩٦) القرضاوي ، العبادة في الإسلام: مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٢١٦

(٩٧) البقرة : ١٥٣

(٩٨) أبو داؤد : السنن، كتاب الصلاة رقم الحديث١٣١٩ ، و. أحمد ، المسند ، ٥ / ٣٨٨

(٩٩) العنكبوت : ٤٥

(١٠٠) هود : ١١٤

(١٠١) مسلم : الصحيح، كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ، رقم الحديث ٢٥١

(١٠٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٤ / ٣٥٨

(١٠٣) النور : ٣٣

(١٠٤) مسلم : الصحيح ، رقم الحديث ٢٢٣

(١٠٥) العاديات : ٨

(١٠٦) الحشر : ٩

(١٠٧) مسلم : الصحيح ، كتاب البر والصلة ، رقم الحديث ٢٥٧٨

(١٠٨) محمد : ٣٦ — ٣٧

(١٠٩) الترمذي : السنن ، كتاب الزكاة ، رقم الحديث ٦٥٨

(١١٠) إبراهيم : ٧

(١١١) البخاري : الصحيح، كتاب الزكاة ، ٢ / ١٢٠

(١١٢) البقرة : ١٨٣

(١١٣) الرازي، أبوعبدالله محمد بن عمربن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ٥ / ٧٦

(١١٤) البخاري : الصحيح ، كتاب الصوم ، باب فضل الصوم ، ٢ / ٢٢٦

(١١٥) البخاري : الصحيح ، كتاب الصوم ٢ / ٢٢٨

(١١٦) القرضاوي: العبادة في الإسلام ، ص ٢٧٧

© rasailojaraid.com

(١١٧) آل عمران : ٩٦ — ٩٧

(١١٨) الحج : ٢٧ — ٢٨

(١١٩) الندوي، أبوالحسن علي الحسني الندوي ، الأركان الأربعة، في ضوء الكتاب والسنة، دار الكتب الإسلامية، ص ٢٤٦

(١٢٠) البخاري: الصحيح، كتاب الحج ، ٢ / ١٦٠

(١٢١) إبراهيم : ٣٧

(١٢٢) الحج : ٣٨

(١٢٣) القرضاوي ، العبادة في الإسلام ، ص ٢٩٠

(١٢٤) البخاري: الصحيح، كتاب العمرة ، ٢ / ١٩٨

(١٢٥) الشمس : ٩

(١٢٦) المائدة : ٣٥

(١٢٧) الشيخ سعيد حوي: المستخلص في تزكية النفس، دارالسلام ، ص : ١٥٣

(١٢٨) الحجرات : ١٥

(١٢٩) النساء : ٩٥ — ٩٦

(١٣٠) البخاري: الصحيح ، باب فضل الحج المبرور ، ٢ / ١٤١

(١٣١) التوبة : ١١١ — ١١٢

(١٣٢) آل عمران : ١٤٠ — ١٤٣

(١٣٣) المنافقون : ٨

(١٣٤) أبوداؤد: السنن، كتاب البيوع ، باب في النهي عن العنية ، رقم الحديث ٣٤٦٢

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

© rasailojaraid.com